المحاضرة: الحادية عشرة (11)

الإيمان بالله –تعالى-3

مقدمة:

أثار الفلاسفة والملاحدة وأعداء الإسلام والأمة شبهات كثيرة للتشكيك في العقيدة الإسلامية، وفي توحيد الله، وسعوا جهدهم لإنكار وجود الله، وغير ذلك.

تساؤلات وإشكالات:

س: ما موقف السلف والخلف من قضية الاستدلال على وجود الله –تعالى-؟

ج/ لا خلاف بين السلف والخلف في أن الإقرار بوجود الله –تعلى-أصل عقدي ثابت، وإنما الخلاف في طريق حصوله، ومذهب السلف أن معرفة الله فطرية، لا تحتاج إلى نظر واستدلال عقلي، إلا عند فساد الفطرة. روى البخاري قالَ النبيُّ -ﷺ-: ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ، ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم:30]. في حين أن الخلف قالوا معرفة الخالق نظرية، وأوجبوا النظر على كل المكلَّفين.

مثال: يروى أن أبا حنيفة النعمان إمام المذهب –رضي الله عنه- في زمانه حصلت مناقشة بينه وبين بعض الفلاسفة الملاحدة الذين ينكرون الصانع وأرادوا أن يناظروا أبا حنيفة فغلبهم باستعمال دليل بسيط؛ كان أبو حنيفة يسكن في العراق، والعراق يخترقه نهر دجلة والإمام –رضي الله عنه- كان يسكن في ضفته، ولابد أن يعبر باستعمال عبارة (..) عاتبوه على تأخره عن المناظرة فقال: يا جماعة أنا لم أجد عبارة، وإذ بشجرة تسقط بجانبي، وإذ بأغصانها تتقطع من تلقاء نفسها، ثم جاءت الأخشاب وتلاصقت، وجاءت المسامير ودخلت في أماكنها، ثم ركبت عليها وعبرت (..) وهذا الذي جعلني أتأخر، فضحك الجميع ولم تتقبلها عقولهم، وقالوا: كيف تتقبل يعقل أن السفينة صنعت نفسها أو صدفة!؟ فقال لهم أنتم لم تتقبلوا أن سفينة صنعت نفسها، فكيف تتقبل عقولكم أن السماوات والأرض خلقت من دون خالق؟!

س: هل يشتق من كل صفات الأفعال أسماء أم أسماء الله كلها توقيفية؟

ج/ لا بل أسماء الله تعالى كلها توقيفية، لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو أطلقه عليه رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل فعل أطلقه الله تعالى على نفسه فهو فيما أطلق فيه مدح وكمال،

ولكن ليس كلها وصف الله به نفسه مطلقا ولا كلها يشتق منها أسماء، بل منها ما وصف به نفسه مطلقا كقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [الروم: 40] وسمى نفسه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، ومنها أفعال أطلقها الله تعالى على نفسه على سبيل الجزاء والمقابلة.

وهي فيما سيقت له مدح وكمال كقوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء:142] {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران:54] {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة:67] ولكن لا يجوز إطلاقها على الله في غير ما سيقت فيه من الآيات، فلا يقال أنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ونحو ذلك، وكذلك لا يقال ماكر مخادع مستهزئ، ولا يقوله مسلم ولا عاقل، فإن الله عز وجل لم يصف نفسه بالمكر والكيد والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك بالعدل حسنة من المخلوق، فكيف من الخلاق العليم العدل الحكيم.

س: ما هي أسماء الله الحسنى وما الإشكال فيها؟

ج/ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي -ﷺ- قال: إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، ورواه الترمذي، وزاد فيه تعيين الأسماء على النحو التالي: هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرؤوف، مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ.

وقد اختلف العلماء في صحة زيادة الترمذي فبعضهم صححها وبعضهم ضعفها، وبعضهم قال: إنها مدرجة من بعض الرواة، وممن حكم بضعفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ولكن اجتهد العلماء في تعيينها بالاستقراء من الكتاب والسنة. ونشير هنا إلى أن هذه الأسماء هي من أسماء الله، وليست كل أسماء الله، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم :أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم

الغيب عندك. [رواه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما]، وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن لأحد الاطلاع عليه.

س: من خلق الله؟

ج/ من الإشكالات في السؤال كونه مبنياً على التسوية بين الخالق والمخلوق، وعلى التسوية بين قاعدة:كل حادث له محدث، وبين قول البعض: كل موجود له موجد. وكلا التسويتين خطأ. جاء في القرآن من أسماء الله الحسنى: "الْأَوَّلُ" كما في سورة الحديد [الآية :٣]، وجاء في صحيح مسلم في دعاء النبي أنه قال: "اللَّهُمَّ **أنت** الأول فليس قبلك شيء"، وفي الحديث الصحيح :يأتي الشيطان **أحدكم**، فيقول: "من خلق كذا؟ من **خلق كذا؟ حتى** يقول: من **خلق ربّك؟ فإذا بلغه** فليستعذ **بالله** ولينته"؛ فهذا الحديث يبين أن السؤال في ذاته غلط، ولن يوصل التفكير فيه إلى نتيجة إيجابية إلا بالرجوع إلى اعتقاد ما جاء في لسان الشرع من صفة الله سبحانه.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإذا وصل العبد إلى غاية الغايات ونهاية النهايات وجب وقوفه، فإذا طلب بعد ذلك شيئاً آخر، وجب أن ينتهي؛ فأمر النبي الله العبد أن ينتهي مع استجارته بالله من وسواس التسلسل، كما يؤمر كلّ من حصل نهاية المطلوب، وغاية المراد أن ينتهي". وأما قاعدة كل موجود فله موجد فهي غير صحيحة، وإنما الصواب فيها **أن** لكل حادثِ مُحدث، وهذا الكون قد ثبت حدوثه، فلا بد له من مُحْدِث.

س: لماذا توجد الشرور في العالم، مع رحمة الله وقدرته على ردها؟

ج/ ركز السائلون في هذا السياق على صفة الرحمة، وغاب عنهم أن من صفاته –سبحانه- الحكمة البالغة، والعزة والعظمة. ثم حين كفرهذا الملحد بالله سبحانه، هل انتهى الشر من العالم؟ هل توقفت المذابح؟ هل حملت الفيضانات وخَبَت البراكين وسكنت الزلازل؟ إن الإشكال في الأساس في عقيدة الملحد، الذي لا يؤمن بيوم الجزاء والعقاب، فالله يمهل ولا يهمل. ولقد جعل الله تعالى للإنسان إرادة حرة يختار فيها بين الخير والشر، وهذا مقتضى العدل؛ حتى يحاسب الإنسان فالشر إنما ينسب إلى هذا المُختار وليس إلى الله. ولا يمكن أن نفهم الحكمة من وجود الشر إلا إذا آمنا بأن هذه الدنيا دار نقص وابتلاء وليست دار جزاء، فالشر الذي نراه **فيها**، من مصائب وأمراض وكوارث، داخل في جملة هذا الوصف العام الذي أراد الله أن تكون الدنيا عليه. وأخيرا هناك وجوه من الحكمة في ما نراه شرّاً قد لا تستبين لنا من النظرة الأولى، كموسى مع الخضر.

س: كيف نجمع بين القضاء والقدر، وبين تعذيب الكافر على كفره؟

ج/ إنّ باب القضاء والقدر من الأبواب الشرعية السمعية، التي يُعرَف الصواب فيها من الشرع نفسه، ويُشارك العقل في هذا الباب من جهة ما يلمسه واقعاً من كون الإنسان مخيراً فيما يتخذ من قرارات في سائر أمور حياته، وكثيراً ما يقع اللبس في هذا الباب من جهة الربط بين معنى (القدر) ومعنى الجبر، وهذا غير صحيح؛ فإن الله سبحانه قد أثبت للعبد فعلاً ومشيئة، وإرادة يحاسب عليها ولو لم تكن تلك الإرادة حقيقية لما كان هناك فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لأن الرسل بعثوا ليذكروا الناس، فيُثاب من استجاب، ويُعاقب من أبى، فإذا لم تكن للبشرية مشيئة تكون محل كلِّ هذا التذكير والثواب والعقاب؛ لكان ذلك عبثاً يُنزّه الله تعالى عنه.

إن المشيئة البشرية هي من الأسباب التي أودعها الله في هذا الكون، والله هو مسبب هذه الأسباب ومريدها، فكما جعل النكاح سبباً لوجود الولد، والنار سبباً للإحراق، والماء سببا للإرواء، فكذلك جعل الإرادة سبباً لانبعاث العمل، وجعل العمل سبباً لدخول الجنّة أو النّار، **وكل** هذه الأسباب ليست مستقلة بذاتها عن إرادة الله سبحانه، وإنما هي تحت مشيئته، ولو أراد لعطل أثرها كما فعل في نار إبراهيم -عليه السلام-

ثمرات الإيمان بالله:

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائدة جمة، وفضائل كثيرة، منها: الأمن التام والاهتداء التام، الإيمان بالله طاعة لله تعالى الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة، دخول الجنان والنجاة من النيران، الحياة الطيبة، حلول الخيرات ونزول البركات، الهداية لكل خير، زيادة الإيمان والثبات عليه، السلامة من الخسارة، الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله، الرفعة والعلو، إخلاص العمل، قوة التوكل على الله، الشجاعة، حسن الخلق، الإعانة على تحمل المشاق، الذكر الحسن، عزة النفس، الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله والوطن، انتفاء، صلاح البلاد بصلاح العباد.